في الرسم العراقي الحديث والتراث..

تلفيق الحلول الوسطى

خالد خضير

بحثت في محاضرة سابقة القيتها في اتحاد أدباء البصرة، الدور المعيق لتطور الفن التشكيلي الذي كرسه الخطاب القومي الناشط في الخمسينيات الذي استولى بمساعدة العسكرتارية الوطنية على السلطة السياسية، ومارس هيمنة على كامل الحياة العربية وعلى واقع وتطور كل أنماطها الإبداعية ومنها الرسم.
إلا أن أمرين شغلا تفكيري كثيراً، منذ ذلك الوقت: أولهما أن للخطاب القومي حسنات في نشوء الفن التشكيلي بمعناه الحديث، فقد انتج فناً (عربياً حديثاً) وما يهمنا هنا تحديداً فن الرسم، ولكن باساليب وصياغة أوروبية أو ما يسميها شاكر حسن آل سعيد أساليب (اللوحة المسندية)، وبذلك تكون تأثيرات الخطاب القومي خلقت التجربة الأولى في تاريخ (الرسم العربي الحديث) وهو أمر لا أشك فيه، ولكن الطبيعة الأيديولوجية لذلك الخطاب أدت إلى تكريس (المحافظة) على القيم المطروحة فيه، أمام أية محاولة لا تتفق والبناء (العقائدي) الذي تم تشييده، فأدى ذلك الهدف إلى ظهور مهيمنات مقدسة تالية كرست نماذج محددة باعتبارها (متوناً أولى) مثل (التعبير عن الروح المحلية بأساليب فنية حديثة).
وكان الأمر التالي: ملامح جوهر (الطابع التلفيقي) للخطاب القومي وذلك باعتباره العامل الآخر الذي أعاق أية محاولة جادة لتخطي (تجارب) الرعيل الأول نحو أفق الحداثة الذي وصله الفن العالمي، حينما ابتدأت تجربة الرسم العربية الحديثة. لقد كان الطابع التلفيقي للخطاب القومي قائماً على الموازنة بين (التراث والمعاصرة)، الذي أدى التخلص من سطوتهما إلى فتح مغاليق أبواب الحداثة، وهو ما حصل لدينا في العراق، حيث كانت أولى مهمات الحداثة، نسف المرجعيات الخارجية وتأسيس خطابها من جوهر الأسئلة المكبوتة والمحرمة، وبذلك فقد انتقل الستينيون من المرجعيات الأيديولوجية للخطاب التشكيلي السائد، إلى المرجعيات البصرية التي تنطلق من اللوحة (الخامة وعناصر الرسم المختلفة) وطاقاتها التعبيرية، فبدأ الستينيون أولاً بحسم أمرهم، ومغادرة المواقف الوسطية (التراث - المعاصرة) باعتبارها ثنائية لا تمت لأسئلة الواقع البصري الذي يعد جوهر الفن التشكيلي، فاستوطن اهتمامهم سطح اللوحة وخاماتها وقيمها البصرية، بينما أنصب اهتمام جيل الخمسينيات وما قبلها على البحث في كيفية اكتشاف أفضل التحققات البصرية التي تنطبق والطروحات القبلية للخطاب القومي غير البصري ذي الطابع الأيديولوجي. واهتم الستينيون ثانياً، بتكريس اعتبار تجربة رسم اللوحة، تجربة فريدة لا يمكن ردها إلى أي من المرجعيات والعلل الأولى، وبذلك فأنها بقدر ما تمثل استمراراً لمنجز عصرها فأنها تمثل، بقدر واضح قطيعة مضافة اليه، وبذلك يكون المنجز التشكيلي العراقي، سيلاً من الانقطاعات، بعد أن كان تراكماً من الإضافات التي حاولت تنميط الرؤية تحت معيار قبلي سابق.

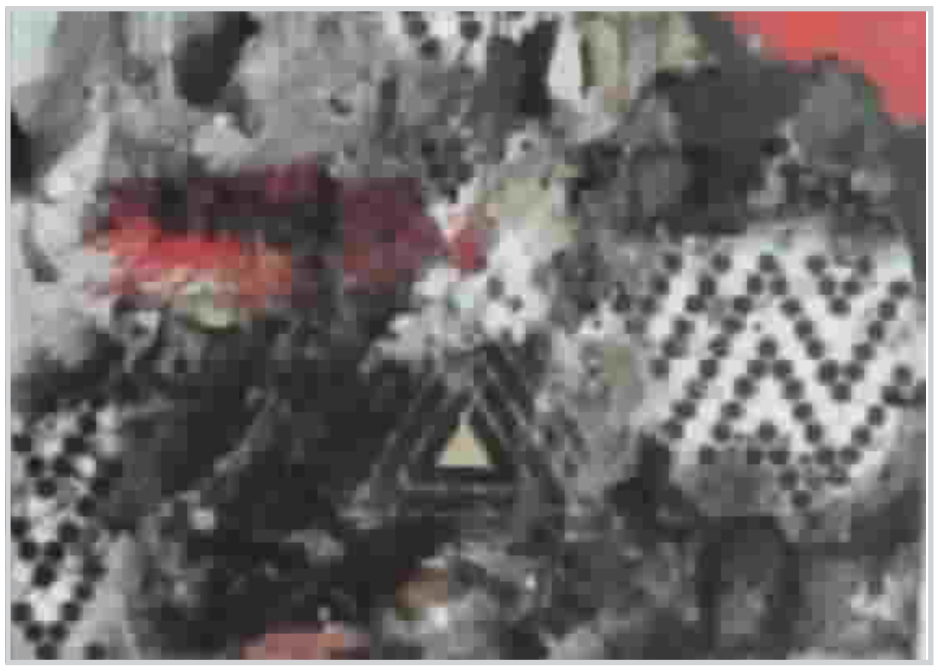

دور العلوم الإنسانية في تحقيق عملية إعادة اعمار العراق بيئياً

ان عملية اعادة اعمار العراق تتطلب جهوداً كبيرة من قبل قطاعات الشعب والحكومة على حد سواء، وتتطلب تضافر جميع الجهود المختلفة من الاختصاصات وذلك عن طريق التنسيق والتعاون والتكامل بالشكل الذي يكمل كل جهد الجهد الاخر، فقد تعرض المجال الحيوي في العراق الى ثلاث حروب، استخدم فيها العديد من الأسلحة غير التقليدية فتلوث المجال الحيوي وهو التربة والماء والهواء بشكل كبير واذا ما نظرنا بواقعية وبعلمية إلى مختلف جوانب الحياة في العراق لوجدناها تعاني من مشكلات عديدة وكثيرة إضافة إلى البيئة منها:

أ.د.المهندس حيدر كمونة

-التخلف الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.
-التبعية والمديونية بمبالغ هائلة.
-تهدم القطاعات الاقتصادية.
-المشاكل البيئية: وهي موضوع السؤال:
أ-التلوث البيئي: نتيجة الاهمال والتخلف والتجاوز المقصود.
ب-التلوث البصري: نتيجة وجود العمارات الحديثة ضاربة النسيج العمراني للمدينة العراقية بعرض الحائط وهي ذات استعمالات مختلفة واشكال متنافره والوان متعددة غير منسجة.
ج- فقدان الخصوصية وتزايد حالة الشرفية على الاسرة العراقية التي تمتاز بخصوصيتها وتقاليدها وكونها اسرة محافظة.
د-تهدم النسيج العمراني التقليدي نتيجة الحركه العمرانيه غير المدروسة مثل هدم الابنية الملاصقة للاضرحة المقدسة وبالتالي ترك اثراً سلبياً على المدينة والبيئة العراقية.
هـ-التلوث الضجيجي بسبب قرب وسائط النقل كالقطارات والمطارات والشوارع الرئيسة من اماكن السكن.
و- مشكلات النقل والمرور نتيجة زيادة عدد السيارات ووسائل النقل وقدم بعض منها والاختلاط باستعمالات الارض وتحويل الشوارع من سكنية الى تجارية.
ز-استعمال مواد البناء الغريبة كالمرمر والغرانيت والقرميد.. الخ بعد ترك مواد البناء النابعة من بيئتنا المحلية التي عادة تكون ملائمة للبناء وللتطور على مدى فترات زمنية طويلة.
ان ماذكر اعلاه من مشكلات لا تشكل الا غيض من فيض. فالنظام البيئي باختصار سواء النظام البيئي الطبيعي ام التقني ام الاجتماعي يعاني مشكلات وتهرؤاً وخللاً كبيراً يقتضي اشتراك جميع المتخصصين في مجالات العلوم والتقنية كلها.
اما فيما يخص دور العلوم الانسانية فهي تعد أدواراً مركبة لشموليتها من جهة ولدخولها بتفاصيل دقيقة وصغيرة من جهة اخرى، حيث انها تسهم بشكل مباشر وفعال في تجميع وتنسيق وتبويب وتحليل جميع البيانات المتعلقة بمختلف انواع التلوث الذي اصاب العراق وتزويد الاختصاصات الاخرى بها لتؤدي دورها فضلاً عن المشاركة بفرق عمل متخصصة في الجوانب البيئية جزءاً من فرق العمل الميداني التخطيطي للعمل على القضاء على الاسباب الملوثة او تقليلها إضافة الى القضاء او التقليل من الاثار السلبية لهذا التلوث والإسهام الفعال في توعية الناس بخطورة العبث بالأدوات والأجهزة والحاويات الملوثة والاقتراب من الاسلحة والقنابل غير المنفجرة حتى الان وكم مرة سمعنا ان هناك قنابل من الحرب العالمية الثانية عثر عليها وهي غير منفلقة او غير مفجرة وقتلت او جرحت اناساً كثيرين.
اضافة الى جمع وتحليل البيانات المتعلقة بالاماكن التي تم تدميرها والبيانات التي تخص نسبة المدمر كلياً وجزئياً فضلاً عن التشديد على معالجة الاخطاء البيئية او التخطيطية لاستعمالات الارض وعلى سبيل المثال لا الحصر في حالة تدمير مصنع معين تدميراً شاملاً او كلياً، على اصحاب الاختصاصات العلميه كافة ومنها الاختصاصات الانسانية الادلاء بدورهم وابداء الرأي والتأكيد على نقل تلك الصناعات المدمرة كلياً الى المكان الصحيح بيئياً وهو الابتعاد عن المناطق السكنية مع الاخذ بنظر الاعتبار اتجاهات الرياح السائدة وعدم تأثيرها من الناحية البيئية في اماكن اخرى اذا تم التفكير او العمل على اعادة بنائها مجدداً.
ان افضل صيغة لتضافر الجهود هي صيغة فرق العمل المتكونة من اختصاصات مختلفة على ان تكون متكاملة منسجمة مع هدف اعادة الاعمار اذن يمكن تلخيص دور المختصين في العلوم الانسانية بإعادة اعمار العراق على وفق ما مدرج في ادناه:
-الاسهام الفاعل في تجميع وتنسيق وتحليل البيانات الخاصة بالاماكن المدمرة كلياً او جزئياً.
-المشاركة في فرق العمل الميداني التخطيطي البيئي.
-الاسهام الفاعل في نشر الوعي البيئي.
-الاسهام الفاعل في تصحيح الاخطاء الناتجة عن سوء توزيع استعمالات الارض.
-الاسهام الفاعل في نقل المعلومات والخبرة المتراكمة الى الاختصاصات الاخرى للإفادة منها في اعادة الاعمار.
-اظهار الدور الطليعي في عرض البيانات المتضمنة الاثار السلبية والإساءة إلى البيئة بالاساليب الحديثة للعرض على ان تتناسب والتباين الشاسع بين قطاعات الشعب المختلفة في المستويات العلمية والثقافية للاسهام في توعيتهم.
- بما ان الحرب قد تركت مخلفات اسلحة وقنابل منفجرة او غير مفجرة ادت الى التلوث والاخلال بالمشهد البصري الحضري وجمالية المدن فان جمع وتحليل البيانات عن هذه المخلفات باسرع وقت هو احد واجبات اصحاب الاختصاصات العلميه الانسانية الملحة والمستعجلة كجزء من المساهمة في جمعها ونقلها الى اماكن اخرى بعيدة عن المدن وباعماق مناسبة.
- جمع وتحليل البيانات عن الاماكن التراثية والآثارية التي اصابها التدمير والاسهام في جمع ونقل المعلومات عنها مع الاختصاصات الاخرى لاعادة بنائها والحفاظ عليها كما كانت لانها جزء حيوي مهم وذو دلالة تاريخية عظيمة ليس للعراقيين فقط وانما للانسانية جمعاء.
جمع وتحليل البيانات عن الفعاليات الخاطئة كافة التي كانت تسيء للبيئة ومنها رمي الفضلات الى الانهار من دون معالجة ورمي النفايات على اختلاف انواعها في اماكن قد تضر بصحة الناس وتؤدي الى خسائر اقتصادية واجتماعية كبيرة.
-المحافظة على الموارد وعدم تدميرها واساءة استغلالها.
-العدالة في توزيع الانفاق والموازنات التطويرية ومحاولة العمل على تطوير المدن والاقاليم المختلفة انقاذاً للمدن والاقاليم المتقدمة من خط الهجرة والمشكلات الاجتماعية والانسانية والمحافظة على ايقاع عمل مؤسسات الخدمات ولو بشكل مستقر نسبياً فلايمكن ان تحوي بغداد ١/٤ سكان العراق و١/٣ عدد سكان المدن.
-البدء بتدريس وتخريج جيل مستقبلي مهمته أداء دور مميز في اعمار العراق وفي الجوانب البيئية من هذا الاعمار ابتداء من الوعي الاعلامي الذي يرافق الوعي التربوي والمواضيع المدرسية والجامعية والبحثية التي تختص باعمار وتطوير بيئة العراق.
-الانفتاح الواعي على العالم والمساهمة في الندوات والبحوث والدراسات داخل وخارج العراق مع المنظمات العالمية والاقليمية ذات المستوى المعروف والعلمي الواضح.
-كما يجب ان يكون لمختصي العلوم الانسانية دور في وضع خطة اعمارية بيئية تشمل جميع مفاصل وقطاعات العراق وبالذات مشكلات البيئة والتلوث البيئي.
ان هذا الموضوع يحتاج الى نهضة حقيقية يقوم بها الجميع يقوده المختصون بالعلوم الانسانية ويكون هدف هؤلاء الباحثين والعلماء والمفكرين هو اعادة اعمار العراق خاصة الجانب البيئي فيه وبالتحديد الانسان العراقي من اجل خلق بيئة سكنية مريحة مرفهة آمنة سعيدة لمعيشة الانسان.

مقتنياتها نادرة من القرن الثامن

عشر النمسا تعرض كنوزها الإمبراطورية

ومعرض تشكيلي معاصر يواكب التاريخ النمساوي القديم

وارد بدر السالم

أول مرة في العالم العربي تقيم النمسا معرض (مقتنيات وكنوز الامبراطورية النمساوية وفنون وتصاميم الفن النمساوي المعاصر) وهو معرض نوعي ذو قيمة تاريخية نادرة بتجسيده شكل الحياة الامبراطورية الفاخرة.
يعود مصدر القسم الخاص بمتحف المخزون الامبراطوري ومجموعاته الفنية الى العائلة الامبراطورية، وقد أستخدمت جميع المقتنيات من قبل امبراطور النمسا والبلاط الامبراطوري، وبعمومها فانها تمثل ثقافة عريقة لاسرة (هايسبرغ) التي عاشت في فيينا في القرن الثامن عشر.
أما غرفة البلاط الامبراطوري الفضية وادوات المائدة الفنية فهي من أجمل اقسام المعرض، فمنذ القرن الخامس عشر كانت هناك أدلة على وجود كنوز في البلاط الامبراطوري الفضي في فيينا، وقد شهد القرن الثامن عشر ولادة هذا البلاط.
ثمة مصباح متدل مصنوع من الزجاج ومطلي بطبقة شفافة حصل عليه شقيق الامبراطور فرانز جوزيف خلال احدى رحلاته الى دول المشرق ولم يعرض هذا المصباح في أي معرض خارج النمسا.
اضافة الى العلامات المميزة للأكاليل التقليدية التي تنم عن سمات العصور القديمة منذ بداية القرن الرابع عشر، كانت هناك أيضاً التيجان الفخمة، وهي كناية عن رتبة الامير والامبراطور او الدوق، وقد عرض تاج ملكي مصنوع من الخشب المنحوت ومركب على قاعدة من الذهب وقدم هذا التاج هدية من الدوق في جنازة الامبراطور فرانز جوزيف. وعرض التاج التذكاري للقديس ستيفانز، كما عرض نظام النسيج الذهبي المأخوذ عن الاسطورة اليونانية، اضافة الى كنوز هذا النظام الموجودة في خزانة فيينا، ويعد هذا النظام من أعرق الانظمة التقليدية الخاصة بالفرسان في العصور الوسطى، ومن المعروضات الفنية في هذا القسم لوحة زيتية على قطعة قماشية للامبراطور فرانز جوزيف.
يضم المعرض أيضاً مجموعة من القوائم التاريخية الخاصة باسماء اماكن الصيد المخصصة للعائلة الامبراطورية ومنها فهرس محرر بخط اليد ومجموعة من اللوحات والخرائط والصور والالات التي كان يستخدمها أباطرة النمسا في الصيد على الحصان ومنها لوحة تحمل اسم (لعبة عادلة) وحقيبة صيد الامير المكونة من الجلد والكروم والفولاذ..

تشكيل نمساوي حديث

وقد وفر لنا هذا المعرض فرصة الاطلاع على الفن النمساوي المعاصر، وان بشكل يسير، من خلال عرضه اعمالاً تشكيلية كثيرة ولفنانين مختلفي الاتجاهات والمشارب الفنية، ونعتقد ان الفرصة لم تكن متكاملة تماماً لمعاينة الفن التشكيلي النمساوي بشكل واف، كما لم يكن هناك من يرافق المعرض التشكيلي من الفنانين المعنيين، لتوثيق المعرفة الاولى بهذه الاعمال والوصول الى نتائج فنية ممكنة التحقيق، ولكن مع هذا النقص توفرت الفرصة لمعاينة النوع الفني النمساوي عبر نماذجه الكثيرة..
قدم المعرض مرحلتين زمنيتين من المراحل التشكيلية النمساوية، الاولى وثقت لوحاتها ابداعات الفنانين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي لوحات تكتسب أهمية تاريخية، وتعد من كنوز الفن التشكيلي النمساوي في حداثته الاولى، حيث عرضت لوحات لوليام ريتشر (١٨٧٥) وفرانز زافيير وينتر هولتار (١٨٦٥) وكاسيمرز بوتشو السكي (١٩١٠).
اما الفنون المعاصرة فكانت هي المحور الثاني للمراحل الزمنية المختلفة التي تلت مرحلة الريادة الفنية، حيث عرضت لوحات مختلفة واتجاهات فنية مختلفة هي الاخرى، فالفنان فرانزيسكا مادرثندر قدم خمس لوحات، تميزت واحدة منها بحجم كبير، كإنما ضاق فضاؤها بمفرداتها المتراكمة، في حين بقيت اللوحات الأربع مكتفية بحرارة الألوان الفاقعة، كالأحمر والأخضر والأصفر، وهي تعكس أسلوب الحياة المعاصرة بهندسة شكلية لاتفصح كثيراً عن هويتها الفنية، وبدت ألوانها الفاقعة اللافتة للنظر، كأنها تعرض الحياة المعاصرة بشكل قبيح، ومن هذا القبح الذي أدركته ريشة الفنان، تشكلت لوحاته، وهي تدين ماوصلت اليه الحياة في ظل العولمة التي تريد انتهاكها من شتى الجوانب. بينما قدمت الفنانة بتينا جوي خمس لوحات هي الاخرى، لكنها مغايرة لما قدمه الفنان فرانزيسكا، فالحياة أمامها فسيحة وجميلة، وألوان البحر تغريها كثيراً، وهي ترسم بأناقة تامة من دون تفصيلات، واقعاً وتجريداً، من احساس فني يرتقي الى الرهافة، وقد ساعدها اللون الازرق على ان تقدم لوحات مميزة. بينما قدم الفنان كارين راوسيك لوحتين كبيرتين واخريين صغيرتين، وتميزت تجربته عن بقية الفنانين النمساويين باستخدامه الواناً غريبة، هي ألوان ترابية أفصحت عن مقدرة جيدة في استخراج اللون المناسب لموضوعة فيها من التأويل مايمكن أن يجعل من لوحاته ذات أثر فني بليغ.
وفي ثلاث لوحات قدمت الفنانة مارينا جان أسلوبها الفني في التجريب والتغريب معاً، وهو محاكاة لأسلوب منتشر بين الفنانين التشكيليين، ولعل لوحاتها الثلاث لم تكشف عن مقدرتها الفنية التي لانعرف عنها شيئاً كثيراً.
ويشترك الفنانان أريكا سايوليد وكاترينا رازيوموفسكي بتجربة اللون المشترك، أعني انقيادهما في اغراق اللوحة بألوان جذابة، لاسيما الأخضر بتدرجاته وهو يعكس شكل الطبيعة والأزرق بتدرجاته وهو يعكس شكل البحر، خاصة لدى الفنانة كاترينا المولعة أيضاً بالرسم الرياضي، وأقصد ميولها الى رسم الرياضة والرياضيين.
اللوحات البصرية لباربرا هولر كانت لافتة للنظر، ويتجلى فيها الفن المفاهيمي الجديد في حداثته المستجدة، ومثلها سوزان جيك ذات الميول التجريدية التي تحرر اللوحة من إطارها الطبيعي، فتكرر اللوحة في داخل اللوحة، او تضع حبالاً واقمشة فيها، لتهشيم النظرة المألوفة السائدة في العرض الفني.
وإذا كان الفنان أنماري ماريونا يميل الى تجسيد شخصيات زنجية صغيرة بدقة متناهية، تعاطفاً معها، فان كلوز كيلر ينوع على الجسد في صورة لونية يمكن ان تكون بارعة في نهاية الامر، لاسيما في استخدامه (جسد) الشجر وايقاظه بتعبيرية ناجحة..
قد لاتكون هذه المطالعة صورة وافية عن الفن التشكيلي النمساوي، لكنها اطلالة أولى على فن لم نكن نعرف الكثير عنه الان.